الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف - ميلة -

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

اللغة والإعتقاد من منظور ابن تيمية -قراءة في كتاب اقتضاء صراط المستقيم-

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي
تخصص: لسانيات تطبيقية

إعداد الطالبين:
*- ناصر عبد اللّيوة
*- علي زواغي

- إشراف الأستاذ:
- الخثير الداودي

السنة الجامعية: **2016/2015**

قال الله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾

سورة طه الآية 114

وقال أيضا: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾

سورة الزمر الآية 9

دعاء

اللهم لا تدعني أصَاب بِالغرور إذا نَجَحْت وَلا باليأس إذا فْشلت

وذكّرني دائِـماً أن الفَشَل هَو التجَارب التي تسْـبِق النّجَاح

اللهم عَلّمنْي أنْ التسَامح هَو أكْبَر مَراتب القوّة

وَأنّ حبّ الانتقام هَو أولْ مَظاهِر الضعْفَ

يا رَبْ إذا جَرَّدتني مِن الصحة فاتركْ لي نعمة الإيمان وإذا جردتني من نعمة الإيمان فاترك لي الأمل

يا رَبْ إذا أسَأت إلى الناس فَاعْطِني شجَاعَة الاعتذار

وإذا أسَاء لي النَّاس فاعْطِنْي مقدرة الصبر

اللهم اختم بالسعادة أحلامنا، وحقق بالزيادة أمانينا

اللهم تقبل دعاءنا

شكر وتقدير

باسم الله و الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله خاتم الأنبياء و المرسلين.

نحمد الله أولا و دائما على أن وفقنا و أعاننا على إتمام هذا العمل.

و نتقدم بجزيل الشكر إلي الأستاذ المشرف "الخثير الداودي" علي ما قدمه لنا من نصائح و توجيهات في سبيل إثراء هذا الانجاز، كما نشكر كل من ساهم من قريب أو بعيد في سبيل انجاز هذا العمل

ناصر وعلي

إهداء

اهدي ثمرة جهدي إلى:

اللذين ضحيا بأنفس ما يملكان و حرما نفسيهما من اجل أن ينعم أبناءهما بالسعادة والعلم،

إلي من قال فيهما الرحمان: ﴿وَاخفِض لهُمَا جَنَاحَ الذّلِّ مِنَ الرِّحمَةِ وَقُل رَّبِّ ارحَمهُمَا كمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾

إلي أروع كلمة نطقها لساني و أجمل حب حملته بأحضاني أمي أمي الحنونة، أيا منبع الحب الصافي و يا مصدر الشوق الدافي، أدعو الله أن تكوني دوما فوق رأسي.

إلي إخوتي الأعزاء...وسام، راضية و عمار حفظهم الله.

ناصر

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل القرآن بلسان عربي مبين وجعله نبراسا ينير به قلوب عباده المتقين، ويهدي بهم الى صراط مستقيم، وصلى الله على أفضل من نطق بلغة الضاد خاتم الأنبياء والمرسلين محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وعلى صحابته الأخيار والتابعين وبعد.

لقد كان الإعتقاد السائد قبل الداروينيين أن اللغة قصر على الإنسان، وأنها إلهام أو خلق من الله الذي خلق الألفاظ وعلمها لآدم، أو هو الذي وهبه الملكة اللغوية وأن هذه قد نشطت في كل جماعة على نحو معين وشكلت لكل منها لغتها، ونحن نعلم أن اللغة وراء كونها عربية أو إنجليزية أو حبشية أو صينية، ظاهرة فكرية عضوية خاصة بالإنسان دون غيره من الكائنات الحية . فهي إذن صفة مميزة للنوع البشري، ومادامت بهذه المثابة فإنها تضع على بساط البحث ملا يحصى من المسائل والمشاكل: ماهي ؟ ما علاقتها بالعمليات الفكرية والأحوال النفسانية ؟ ما مكانها بالنسبة للأفراد والجماعات ؟ كيف تنمو وتتطور ؟ كيف تشيخ وتموت ؟ ماذا يصيبها من الأمراض والعاهات والآفات لماذا تتنوع الألسنة واللغات، وما علاقة بعضها ببعض ؟ الى ملا يكاد يحصى من المسائل والمشاكل التي تعين في نهاية الأمر على معرفة بالإنسان نفسه وأوضح وأكمل.

يقف الباحث أمام هذه الظاهرة بكل قوتها وأهميتها، وكل غموضها وتعقيدها أيضا، محاولا الكشف والتحليل والتفسير، وهكذا يجد نفسه بالضرورة في نطاق النوع الثاني من العلوم حسب تقسيمنا السابق، ذلك النوع الذي يتغلغل في ظهارة ما بالتأمل الفكري، والمشاهدة الإستقرائية، والإحصاء العلمي، والتجربة التحليلية، التي مادتها ودائرتها نشاطها وموضوع بحثها اللغة أو بتعبير أم الكلام، دون أن يتقيد بنوع معين منه، أي دون أن ينحصر بحثه في لغة بعينها.

وعليه قررنا أن نتناول بالبحث والدراسة هذا الموضوع المتمثل في اللغة والإعتقاد من منظور ابن تيمية، وكان سبب إختيارنا لهذا الموضوع حب الإطلاع عن هذا العالم الفذ

وفضولنا في الكشف عن ما يحتويه كتابه والمتمثل في إقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أهل الجحيم

ولقد اعتمدنا في بحثنا هذا على مجموعة من الدراسات التي أعلنتنا ومن أهمها:

الدراسات اللغوية عن شيخ الإسلام ابن تيمية ولقد إستعنا على مقاربة هذه الأهداف بالمنهج الذي رأيناه مناسبا، وقد إعتمدنا في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي بوصفه المنهج الأنسب في رأينا .

وعليه جاء البحث مقسما إلى مقدمة ومدخل وثلاث فصول وفقط الخطة والتنظيم التاليين:

المدخل: ويتضمن سيرة ابن تيمية

الفصل الأول: حول كتاب إقتضاء سراط المستقيم لإبن تيمية وينقسم بدوره إلى ثلاث مباحث هي:

المبحث الأول: المسائل التي عالجها الكتاب

المبحث الثاني: سبب تأليف الكتاب

المبحث الثالث: التعليق على الكتاب وتحليل موضوعاته

الفصل الثاني: اللغة والإعتقاد من منظور ابن تيمية وهو بدوره مقسم إلى مبحثين وهما:

المبحث الأول: اللغة من منظور إبن تيمية

المبحث الثاني: الإعتقاد من منظور إبن تيمية

الفصل الثالث: القيمة العلمية للمدونة وهو مقسم إلى مبحثين هما:

المبحث الأول: أراء العلماء في ابن تيمية

المبحث الثاني: تصانيف ابن تيمية

خاتمة: وفيها حصاد الفصول بإيجاز .

ولا يخلو هذا البحث من صعوبات واجهتنا أثناء جمعنا له خاصة في المبحث الثاني ألا وهو الإعتقاد من منظور إبن تيمية .

وفي النهاية نتقدم بالشكر جدا للأستاذ المشرف "الخثير الدوادي" ونأمل أننا وفقنا من هذا العمل فحسبنا أننا حاولنا والله الموفق وهو يهدي السبيل.

يوم: 2016/05/10

- عبد الليوة ناصر
- زواغي علي

سيدي مروان –ميلة–

مدخل

- ✓ مدخل
- ✓ حياة شيخ الإسلام ابن تيمية وعصره
- ✓ ولادته
- ✓ سبب تسميته بابن تيمية
- ✓ تصانيفه
- ✓ وفاته

مدخل:

لا ريب أن فهم القرآن والسنة موقوف على فهم لغتها فكلما زاد المرء فهما في لغة العرب زاد فهمه لنصوص الشريعة، وإذا نقص فهمه في اللغة كان نصيبه من نصوص الشريعة بمقدار فهمه.

يقول الشاطبي في الموافقات «الشريعة عربية وإن كانت عربية فلا يفهمها حق الفهم إلا من فهم اللغة العربية حق الفهم لأنهما سيان في النمط.

ويقول ابن جني :تحت (باب فيما يؤمنه علم العربية من الاعتقادات الدينية). «اعلم أن هذا الباب من أشرف أبواب هذا الكتاب وان الانتفاع به ليس إلا غاية ولا وراءه من نهاية وذلك أن أكثر من ضل من أهل الشريعة عن القصد فيها وحاذ عن الطريقة المثلى إليها فإنما استهواه واستخف حلمه ضعفه في هذه اللغة الكريمة الشريفة»[1] وقد أكد ابن تيمية هذا الأمر في مواضع كثيرة: «فالألفاظ عنده كانت سببا في اضطراب الناس في كثير من مسائل الشريعة»[2] فعلم العربية دعامة أساسية يقوم عليها علم التفسير، لذا اشترط أهل العلم في المفسر شروطا منها: أن يكون على علم واسع بالعربية لغة ونحوا، وصرفا وبلاغة وبيانا وفي هذا البحث المتواضع سنحاول أن نركز على هذا العالم الفذ الذي ذكرناه آخرا وهو شيخ الإسلام ابن تيمية وآراءه في القضايا اللغوية وعلاقتها بعلوم القرآن والشريعة، حيث سنقدم في هذا المدخل لمحة عن سيرته باختصار والمتمثلة في ولادته من جهة وحياته وعصره من جهة أخرى.

---

[1] أبو الفتح عثمان ابن جني: الخصائص، دط، دار الكتاب المصرية، مصر، ج2، دت، ص245

[2] هادي أحمد فرحان الشجيري : الدراسات اللغوية والنحويه في مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية ، ط1 ، دار البشائر الاسلامية ، بيروت 2001ص38

حياة شيخ الإسلام ابن تيمية وعصره:

ولد الشيخ في بيت ثقافة إسلامية سلفية، فان جده كان محدثا مشهورا وكذالك كان أبوه يصف ابن تيمية جده بقوله: «كان جدنا عجبا في حفظ أحاديثه وسردها وحفظ مذاهب الناس بلا كلفة، ويصفه بأنه كان معدوم النظير في زمانه، رأسا في الفقه وأصوله»[1] أما والده فإنه أتقن العلوم وأفتى وصنف وصار شيخ البلد بعد أبيه.... وكان محققا، كثير الفنون وكان من أنجم الهدى وإنما اختفى من نور القمر وضوء الشمس.[2]

تلقى شيخنا الفقه والحديث والتفسير والعلوم الأخرى من أبيه وجده وعلماء عصره ."أعانه على ذلك اطلاع اتسمت آفاقه وعقل احتد ذكاءه وقدرة على الجدل والنظر لم تتجمع آلاتها في رجل كما تجمعت فيه "[3] فكان مضرب المثل في قوة الحفظ والذكاء كما استطاع إن يستوعب ثقافة العصر ويحاجج أهلها عن مقدرة ودراية.

"وكان عصره يموج بالتيارات السياسية العنيفة، فإن حروب التتار التي بدأت تغزو البلاد منذ عام 1229م ...قد عاشها الشيخ واشترك بنفسه في أحد المعارك إلى جانب صراع المماليك على السلطة في الداخل ".[4]

وكان سقوط بغداد على يد التتار عام 1257م هي النتيجة الطبيعية التي تمخض عنها ضعف الدولة العباسية، وكان للشيخ ابن تيمية دور بارز في مقاومة الغزو التتار، وهذا يعطينا فكرة عن ارتباط العقيدة بالعمل عنده.

قال عنه الحافظ الذهبي: «الشيخ الإمام العلامة، الحافظ الناقد، الفقيه المجتهد، المفسر البارع، شيخ الإسلام، علم الزهاد، نادرة العصر تقي الدين أحمد ابن المفتي شهاب الدنيا عبد

---

[1] مصطفي حلمي: معرفة الله عز وجل وطريق الوصول اليه عند ابن تيمية، ط1، دار الدعوة الإسكندرية، ت1990م، 10

[2] المرجع نفسه، ص10.

[3] عبد العظيم إبراهيم محمد المطعّن، المجاز عند ابن تيمية، ط1، مكتبة وهيبة، القاهرة، ت1995، ص8.

[4] مصطفي حلمي: معرفة الله عز وجل وطريق الوصول اليه عند ابن تيمية، ص11.

الحليم ابن الإمام المجتهد شيخ الإسلام مجد الدين عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحرّاني، أحد الأعلام »[1]

ولادته:

قال الحافظ ابن عبد الهادي: ولد شيخنا أبو العباس بحرّان، يوم الاثنين عاشر، وقيل ثاني عشر شهر ربيع الأول سنة 661هـ، إحدى وستين وست مائه.

سبب تسميته بابن تيمية:

اختلف على ذلك قولان:

أولهما: أن جده محمد كانت أمه تسمى تيمية وكانت واعظة فنسب إليها وعرف بها.

ثانيهما: "أن جده محمد بن الخضر حج على درب تيماء، فرأى هناك طفلة فلما رجع وجد امرأته قد ولدت له بنتا فقال: يا تيمية يا تيمية فلقب بذلك"[2] والراجع عند أغلب المتتبعين لسيرة الشيخ هو القول الأول.

تصانيفه:

قال عن تصنيف ابن تيمية الحافظ النظار وأما مؤلفاته ومصنفاته فإنها أكثر من أن أقدر على إحصائها، أو يحضرني جملة أسمائها، بل هذا لا يقدر عليه غالبا أحد لأنها كثيرة جدا كبارا وصغارا وهي منشورة في البلدان... فمنها ما يبلغ اثني عشر مجلدا "ومنها ما يبلغ سبع مجلدات كالجمع بين العقل و النقل ومنها ما يبلغ ثلاث مجلدات كالرد على النصارى".

وفاته:

وفي ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة الحرام سنة ثمان وعشرين وسبع مائة 827 آن لابن تيمية العالم العابد المجاهد أن ينطلق من سجنه إلى جوار ربه "مات رحمه الله بسجن

---

[1] هادي أحمد فرحان: الدراسات اللغوية والنحوية، ص16.

[2] المرجع نفسه، ص17.

قلعة دمشق بسبب كيد بعض علماء عصره لدى السلطان الناصر وكان صديقا لابن تيمية"[1].

فذكر ذلك مؤذن القلعة على المنارة بها ، وتكلم به الحراس على الأبرجة، فيما أصبح الناس إلا وقد تسامعوا بهذا الخطب العظيم ، والأمر الجسيم فبادر الناس على الفور إلى الاجتماع حول القلعة من كل مكان أمكنهم المجيء منه ، فحارت الدولة ماذا يصنعون وجاء الصاحب شمس الدين غبريال نائب القلعة فعزاه فيه ، وجلس عنده ، وفتح باب القلعة لمن يدخل من الخواص والأصحاب والأحباب ، فاجتمع عند الشيخ في قاعته خلق من أخصاء أصحابه من الدولة وغيرهم من أهل البلد والصالحية فجلسوا عنده يبكون ويثنون " على مثل ليلى يقتل المرء نفسه " وكنت فيمن حضر هناك مع شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزي . رحمه الله . وكشفت عن وجه ونظرت غليه وقبلته ، وعلى رأسه عمامة مغروزة ، وقد علاه الشيب أكثر مما فارقناه ، وأخبر الحاضرين أخوة زين الدين عبد الرحمن أنه قرأ هو والشيخ منذ دخل القلعة ثمانين ختمة وشرعا.

[1] مصطفي حلمي: معرفة الله عز وجل وطريق الوصول اليه عند ابن تيمية، ص14.

الفصل الأول: حول كتاب اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية

- ✓المبحث الأول: المسائل التي عالجها الكاتب
- ✓المبحث الثاني: سبب تأليف الكتاب
- ✓المبحث الثالث: التعليق على الكتاب وتحليل موضوعاته

المبحث الأول: المسائل التي عالجها الكاتب

لقد اشتملت نصوص القرآن والشريعة والسنة على كثير من القواعد والأحكام التي تبين هذا الأصل العظيم والمقصد الجليل.

ومن ذلك أن قواعد الشرع ونصوصه اقتضت وجوب مخالفة المسلمين للكافرين في عقائدهم وعباداتهم وأعيادهم وشرائعهم وأخلاقهم الفاسدة، وكل ما هو من خصائصهم وسماتهم التي جانبوا فيها الحق والفضيلة.

وقد عني سلفنا الصالح –رحمهم الله–ببيان هذا الأمر، وكان من أبرز من صنف فيه شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية المتوفى سنة –768هـ –رحمه الله– وذلك في كثير من مؤلفاته الكثيرة والتي لا تعد ولا تحصى، لا سيما كتابه الشهير: "اقتضاء صراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم".

وقد عالج هذا الكتاب مسائل كثيرة تهم المسلمين، كما هو الحال في زمانه، وفي جملة هذه المسائل "بيان أن الأدلة القطعية من الكتاب والسنة والإجماع، توافرت على الأمر بمخالفة غير المسلمين، والنهي عن موافقتهم، وأن في مخالفتهم مصالح ظاهرة.

كما أن في موافقتهم مفاسد ظاهرة كذلك، وأن النصوص وآثار السلف بينت أصناف الذين أمرنا بمخالفتهم، ونهينا عن التشبه بهم، كأهل الكتاب والمشركين والمنافقين وأهل الجاهلية والأعراب الجفاة الذين لم يتفقهوا في الدين، والأعاجم من الفرس والروم، الذين لم يدخلوا الإسلام، ولم يلتزموا شرائعه، وأهل الفسق والفجور"[1].

و قد فصل شيخ الإسلام–رحمه الله–في هذا الكتاب القيم جملة من الأمور "التي جاء النهي الشديد عن التشبه بغير المسلمين فيها، وعن متابعتهم في شيء منها، وبخاصة مسائل

[1] شيخ الإسلام أحمد ابن عبد الحليم ابن عبد السلام ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تح: ناصر عبد الكريم العقل، د ت، ص2، 3.

الأعياد، حيث بين أن الإسلام شرع للمسلمين عيدين في السنة، هما عيد الفطر وعيد الأضحى فحسب، ونهى أشد النهي عن متابعة الكافرين وأهل البدع في أعيادهم."[1].

ومثال الأعياد التي نهى شيخ الإسلام عن التشبه بها ومتابعتها "أعياد الفرس مثل النيروز والمهرجان، وأعياد اليهود أو غيرهم من أنواع الكفار أو الأعاجم أو الأعراب حكمها كلها على ما ذكرناه من قبل."[2].

"وعرف الكتاب مسائل أخرى جاءت النصوص الشرعية وآثار السلف الصالح بالنهي عن متابعة غير المسلمين فيها، كالبناء على القبور واتخاذها مساجد، وكالغلو في الصالحين واتخاذ المشاهد والعصبيات والتّخربات والشعارات والطرق والمناهج المحدثة في الدين، المستمدة من أعداء المسلمين وغير ذلك من المسائل المهمة التي عرضها الكاتب، والتي تعالج الكثير من الأمراض التي ابتليت بها بعض المجتمعات الإسلامية المعاصرة"[3].

وعموما هذه أهم المسائل التي عالجها الكتاب بعنوان "اقتضاء صراط المستقيم" والذي يعد بحق من أجود الكتب التي صنفها السلف في هذا الباب.

المبحث الثاني: سبب تأليف الكتاب:

يعد كتاب اقتضاء صراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية من أهم كتب العقيدة التي تحدث فيها شيخ الإسلام عن مسائل التشبه باليهود والنصارى وأعيادهم وهو شرح لحديث الرسول (ص) "من تشبه بقوم فليس منهم"[4]، وعن سبب تأليف هذا الكتاب القيم والثري يذهب شيخ الإسلام – رحمه الله– بقوله: "فإني قد نهيت: إما مبتدئا أو مجيبا عن التشبه بالكفار في أعيادهم وأخبرت ببعض ما في ذلك من الأثر القديم والدلالة الشرعية،

---

[1] ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ص3.

[2] المرجع نفسه، ص52.

[3] المرجع نفسه، ص52.

[4] المرجع نفسه، ص52، 53.

وبينت بعض حكمة الشرع في مجانبة الكفار، من الكاتبين والأميين، وما جاءت به الشريعة من مخالفة أهل الكتاب والأعاجم "[1]. ثم واصل حديثه بقوله: "و إن كانت هذه قاعدة عظيمة من قواعد الشريعة، كثيرة الشعب، واصطلاحا جامعا من أصولها كثير الفروع، لكني نبهت على ذلك بما يسر الله تعالى، وكتبت جوابا في ذلك لم يحضرني الساعة، وحصل بسبب ذلك من الخير ما قدره الله سبحانه ثم بلغني بآخره بأن من الناس من استغرب ذلك واستبعده، لمخالفة عادة قد نشؤوا عليها وتمسكوا في ذلك بعموميات واطلاقات اعتمدوا عليها، فاقتضاني بعض الأصحاب أن أعلق في ذلك ما يكون فيه إشارة إلى أصل هذه المسألة، لكثرة فائدتها، وعموم المنفعة بها، ولما عم من الناس من الإبتلاء بذلك، حتى صاروا في نوع جاهلية، فكتبت ما حضرني الساعة، مع أنه لو استوفى ما في ذلك من الدلائل، وكلام العلماء واستقريت الآثار في ذلك، لوجد فيه أكثر ما كتبته.

و لم أكن أظن أن من خاض في الفقه ورأى إيماءات الشرع ومقاصده، وعلل الفقهاء ومسائلهم يشك في ذلك، بل لم أكن أظن أن من وقر الإيمان في قلبه وخلص إليه حقيقة الإسلام وأنه دين الله الذي لا يقبل من احد سواه..."[2].

المبحث الثالث: التعليق على الكتاب وتحليل موضوعاته:

كتاب اقتضاء صراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام ابن تيمية كتاب في الشريعة من مجلدين، حيث جاء المجلد الأول من خمسمائة وعشر صفحات، وجاء المجلد الثاني مكون من أربعمائة وثلاث وستين صفحة، بمجموع تسعمائة وعشر صفحات (910) صفحة للكتاب الكامل، "و الموضوع الرئيسي للكتاب يتضح للقارئ من عنوانه، وقد أشار المؤلف–رحمه الله–في مستهل الكتاب إلى أنه أراد التنبيه على قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام وأصوله، وهي: النهي عن التشبه بالكفار، وفي الآمر بمجانبة هديهم على

[1] ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ص52–53.

[2] المرجع نفسه، 30.

العموم وفي أعيادهم على الخصوص، وبيان حكمة ذلك، وما جاءت به الشريعة من مخالفة أهل الكتاب والأعاجم ونحوهم."[1]

وعنوان الكتاب يختلف من نسخة إلى أخرى، ولكنه اختلاف طفيف:

"ففي النسخ: (ب ج د): (اقتضاء صراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم). وفي (أ): لم استطع أن أتبين العنوان كله، لأن آخره مطموس فالواضح منه(كتاب اقتضاء) فقط.

وفي (ط) : (اقتضاء الصراط المستقيم في الرد على أصحاب الجحيم).

وفي نسخة برلين اقتضاء الصراط المستقيم ومجانبة أصحاب الجحيم).

وفي نسخة جامعة الملك سعود رقم(1203) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم).

وفي المطبوعة: (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم).

ومن كل هذه العناوين يعد اقتضاء صراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم أروج التسميات وذلك لأن أكثر النسخ المخطوطة اتفقت عليه"[2]. وقبل أن أدخل في دراسة موضوعات هذا الكتاب أحب أن ننبه القارئ على ثلاثة أمور مهمة:

الأمر الأول: أن هذا الكتاب بجملته يعتبر دراسة تفصيلية فريدة لهذا الموضوع المهم والخطير في حياة المسلمين، الذي يعتبر أصلا من أصول العقيدة الإسلامية فان المؤلف رحمه الله استوفى مسألة عن مشابهة الكفار من أصولها وفروعها وأدلتها العقلية والنقلية وما ورد منها من آثار ومواقف عن سلف الأمة.

الأمر الثاني: أن هذه القاعدة التي قدمها المؤلف رغم أنها من أهم أصول عقيدة السلف الصالح في القرون الثلاثة الفاصلة وأن الصحابة والتابعين وتابعيهم يحذرون الأمة من التهاون بها والوقوع فيما نهى الله عنه ورسوله (ص) من مشابهة الكفار والأعجام ونحوهم.

---

[1] ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ص31.

[2] المرجع نفسه، ص16.

الأمر الثالث: أني وجدت هذا الكتاب من خلال دراسة له كأنما ألف للمسلمين في هذا العصر سواء في موضوعاته وطريقة بحثها وعلاجها أو في أسلوبه.

و هذه ثلاثة أمور مهمة ينبغي للقارئ ان ينتبه إليها، والآن بعد أن نوهنا إلى هذه الأمور سنقوم بدراسة بعض مواضيع هذا الكتاب القيم لشيخ الإسلام رحمه الله.

الموضوع الأول: تنبيه المؤلف على أصلين مهمين:

استهل المؤلف كتاب اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم بمدخل هام وجدير بالتأمل والدراسة وذلك أنه نبه على أصلين من أصول الدنيا لا غنى للمسلمين عن فهمها ولكل واحد منهما علاقة بالآخر.

«الأصل الأول: إخبار الرسول (ص) بأن أمته ستبيع سنن الأمم التي سبقتها من اليهود والنصارى وفارس والروم شبرا بشبر وذراعًا بذراع...»[1].

الأصل الثاني: إخباره (ص) أيضا بأن الله تعالى تكفل بحفظ الدين وأنه لا تزال طائفة من المسلمين على الحق ظاهرين حتى تقوم الساعة وأن الأمة لا تجتمع على ضلالة.

ثم يوازن بين هذين الأصلين بعد أن أورد الأحاديث الواردة عن الرسول(ص) في اتباع المسلمين سنن من كان قبلهم فيقول: فأخبر أنه سيكون في أمته مضاهاة لليهود والنصارى وهم أهل الكتاب، ومضاهاة لفارس والروم وهم الأعاجم.[2]

الموضوع الثاني: بعض أنواع البدع والشركيات التي ابتليت بالأمة:

لقد شخص المؤلف رحمه الله أكثر الأمراض وأنواع التشبيه والتقليد الكافرين التي وقع فيها المسلمون، حين تساهل كثيرا منهم بدينهم، وغفلوا عن تحذير الرسول صل الله عليه

[1] ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ص24.

[2] المرجع نفسه، ص25.

وسلم أمته من الوقوع فيما وقعت فيه الأمم قبلهم من البدع والضلال فذكر طائفة في ذلك في العبادات وأخرى في السلوك والأخلاق والعادات وثالثة في الإعتقادات والإرادات.

فمن البدع في العبادات:

«إحداث أعياد واحتفالات لم يشرعها الله ولا رسوله صل الله عيه وسلم إنما فعلتها الأمم الأخرى كاليهود والنصارى، أو فارس والروم، ونحوهم كالإحتفال بيوم عاشوراء والمولد النبوي، وبليلة الإسراء والمعراج، وليلة النصف من شعبان، وإحداث صلوات لم يشرعها الله، كصلاة الرغائب، وتخصيص ليالٍ وأيام بعينها بعيادة معتادة، كأول خميس من رجب، وليلة أول جمعة وليلة النصف منه، وكالرهينة والسياحة لغير قصد مشروع أو مباح، والغلو في الدين.

وممن وقع فيه المسلمون في الأخلاق والعادات:

الحسد، والبغي، والبخل بالمال والعلم، وجحود ما مع الآخرين من الحق عند الخصومات، والتشبه بالكافرين باللباس والرطانة بلغتهم لغير ضرورة.

وما وقعوا فيه من الاعتقادات والإرادات:

كالغلو في الأنبياء والصالحين وتحريف الكلم عن مواضعه، كما فعلت الفرق، كالجهمية، والمعتزلة والخوارج والروافض، وبعض الأشاعرة، ونحوهم.

وكبناء المساجد على القبور، والطواف بها ودعاء أهلها من دون الله، والتمسح والتبرك بها، ونحو ذلك من البدع والشركيات، التي وقع فيها كثيرا من الجهال والمبتدعين، وأصحاب الطرق الصوفية والشيعية وغيرهم»[1].

[1] ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ص28.

الموضوع الثالث: أثر التشبه على الأمة:

«لقد حلل المؤلف رحمه الله أثر التشبه والتقليد، بين المتشبِّه والمتشبَّه به، والمقلِّد والمقلَّد، تحليلا علميا رائعا، ينبغي أن يكون قاعدة من قواعد علم النفس والإجتماع، وقد ثبت ذلك بقول الرسول (ص): «من تشبه بقوم فهو منهم»، حيث بيّن وأكّد أن المشاركة بين المتشابهين في الهدي والظاهر، وهو المظهر والسلوك، لابد أن تورّث بينهما شعوراً واضحاً بالتقارب والتعاطف والتّواد، فإذا حدث انّ مسلما تضبّه بكافر في مظهره وعاداته وسلوكه ولغته او شيئا من ذلك، فإنه لابد ان يورث بينهما شُعوراً بالتقارب والمودّة، وهذا ما شهد به الواقع، وفضلا عن بيان الشرع، وموافقه العقل.

وبعد أن قرّر المؤلف هذه القاعدة– قاعدة المقلِّد والمقلَّد، ليبين أثر التشبّه على عقيدة المسلمين ودينهم، ضرب لذلك أمثلة واقعية، يدركها كل عاقل بصير، فيقول: "إن المشاركة في الهدي الظاهر، تورث تناسباً وتشاكلا بين المتشابهين، يقود إلى موافقة ما في الاخلاق والأعمال، وهذا أمر محسوس، فغن اللابس لشباب أهل العلم– مثلا يجد في نفسه نوع من الانضمام إليهم، واللّابس لجند المقاتلة– مثلا"، يجد في نفسه نوع تخلق بأخلاقهم»[1].

الموضوع الرابع: قواعد أساسية في التشبه:

استطاع المؤلف من خلال استعراض الأدلة من القرآن الكريم، ثم من السنة المطهرة الواردة في النهي عن تشبه المسلمين بالكفار، وإجماع المسلمين في العصور الفاضلة على ذلك أن يوصلنا إلى النتائج التالية:

«– أن جنس المخالفة للكافرين والأعجام ونحوهم، أمر مقصود للشارع، وأنّ التشبه بهم منهي عنه في الجُملة، في عامة امورهم الدينية والدنيوية.

[1] ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ص29.

- أن هناك أموراً خصت بالنهي، ووردت بها السنة بعينها، كالبناء على القبور، واتخاذها مساجد، وحلق اللحى وإعفاء الشوارب، والأكل والشرب بالشمال، ونحو ذلك.
- أن مخالفتهم في عامة أمورهم أصلح لنا- نحن المسلمين- في دنيانا وآخرتنا.»[1]

الموضوع الخامس: متى يباح التشبه بغير المسلمين:

بما أن الشريعة الإسلامية جاءت بما فيه صلاح الناس وإصلاحهم وتميزت باليُسر والسماحة، وبتقدير المصالح، ودفع المضار فإن فيها للضرورات أحكاماً تُخرج المسلم من الحرج حينما يقع فيه فإن المؤلف أشار إلى أمر هام فيما يتعلق بمسألة النهي عن التشبه بالكفّار والاعاجم ونحوهم، فهو بعد أن أملّ القاعدة، ذكر أن لها استثناء، فهو يذكر أن المسلم إذا واجهته حالة يضطر معها إلى التشبه بالكفار، فإنه يجوز له ذلك في حدود الضرورة، ويضرب لذلك مثلا فيقول: «"ومثل ذلك اليوم، لو أن المسلم بدار حرب، أو دار كفر غير حرب، لم يكن مأموراً بالمخالفة لهم في الهدي الظاهر، لما عليه في ذلك من الضرر، بل قد يستحب للرجل، أو يجب عليه أن يشاركهم أحياناً في هديهم الظاهر، إذا كان في ذلك مصلحة دينية: من دعوتهم إلى الدين، والإطلاع إلى باطن أمورهم؛ لإخبار المسلمين بذلك، أو دفع ضرر عن المسلمين، وغير ذلك من المقاصد الصالحة"، ثم يشير إلى أنه في دار الإسلام لا يجوز شيء من ذلك؛ لأنها شرعت فيها المخالفة، وعليه: فبهذه الشروط والمحترزات والمصالح التي ذكرها المؤلف، يمكن للمسلم ان يتشبه بغير المسلمين؛ لتحقيق مصلحة كبرى، أو دفع مضرة عظمى، وأضِف إلى ذلك: ان لا يصاحب فعله هذا استحلال محرم، أو ترك واجب، أو إخلال بعقيدة.

[1] ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ص32.

كما أنه ينبغي للمسلم أن لا يسافر إلى بلاد غير إسلامية لغير ضرورة، ومصلحة كبرى؛ لأن ذلك يوقعه في مخالفات شرعية كثيرة، عند تعامله مع الكّافر»[1].

وهذه أبرز المواضيع التي تضمنها الكتاب، وهناك مواضيع أهرى لم نتطرق إليها على غرار الاعياد والإحتفالات البدعية والنهي يعم كل ما هو من سمات الكفار قديمًا وحديثًا...إلخ.

وبهذا نكون قد قدّمنا لمحة عامة عن كتاب اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام –ابن تيمية– ولو بشكل وجيز.

[1] ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ص38.

الفصل الثاني: اللغة والإعتقاد من منظور ابن تيمية

- ✓المبحث الأول: اللغة عند ابن تيمية:
- ✓المبحث الثاني: الإعتقاد من منظور ابن تيمية

المبحث الأول: اللغة عند ابن تيمية:

تمهيد:

إن اللغة هي وسيلة مهمة لإخراج الأفكار وتجسيدها أد بدونها تبقى الأفكار وجودا غير متجسدة، فالأسلاف الأوائل يقدحون أفكارهم ثم يعبرون عنها باللفظ المنطوق لتصبح تراثا لأبنائهم، وزادا عقليا وروحيا ووجدانيا للأجيال التي تليهم، ولذلك عني القدامى من المفكرين والعرب وغيرهم بتقليب ما تحتمله الأفكار، و هذه اللغة من وجوه مختلفة وامتحان كل الآراء والظنون المتعلقة بتا وكان ذلك في تراثنا العربي الإسلامي من خلال مؤلفات في شتى المجالات مما يتصل باللغة في كتب التوحيد وعلوم الكلام والفلسفة والمنطق وأدب البحث والمناظرة وأصول الفقه.

فاللغة العربية وان ارتبطت بالفكر كوسيلة له وهذا الفكر لا يخلو أن يعبّر عن مجالات الحياة الإنسانية من دين وتاريخ وثقافة وكان اهتمام العرب القدامى باللغة العربية منبعة اهتمامهم بالدين الإسلامي وعليه فقد كان الأجدر بالنحويين أن يعكفوا على كتاب الله ليستنبطو منه كل أحكام اللغة كما عكف عليه الفقهاء حين استخلصوا منه فهم الشريعة وما يتصل بأمور الدين «ولقائل أن يقول : إن النحويين وجدوا أنفسهم ملزمين بتسّقط شواهد اللغة الأخرى، لأن القرآن لم يستوعب كل أحكام اللغة»[1] والدليل على ذلك أن النحو مند نشأته عكف على استعاب التراكيب والأساليب من القرآن وأخذه على وجوهه الصحيحة وهذا ما تفطن إليه ابن تيمية حين اعتبر تعلم العربية وتعليمها أمر ديني، فالقرآن لا يقرأ بغير العربية لأنّ نصوص الشريعة الإسلامية التي هي مصادر التشريع إنّما هي نصوص القرآن الكريم ونصوص السنة النبوية وهي بلسان عربي مبين فمن يتصدر بفهم هذه النّصوص لا بد أن يكون على علم بلغة هذه المصادر.

[1] د. خليل بنيان الحون: النحويون والقرآن، ط1، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، 2002م، ص8.

يقول ابن تيمية في بيان أهمية العربية في فهم الدين: «فإن الله لما أنزل كتابه باللسان العربي وجعل رسوله مبلغا عنه الكتاب والحكمة بلسانه العربي وجعل السابقين إلى هذا الدين متكلمين به، لم يكن سبيل إلى ضبط الدين ومعرفته إلا بضبط هذا اللسان، وصارت معرفته من الدين»[1].

فكلما ازداد المرء فهما في لغة العرب زاد فهمه في فهم نصوص الشريعة وإن نقص فهمه في اللغة كان نصيبه من نصوص الشريعة بمقدار فهمه فالشريعة عربية وإن كانت عربية فلا يفهمها حق الفهم إلا من فهم اللغة في المسائل الشرعية ومن فقده كان عرضة لأن تتجاذبه الآراء الزائفة والعقائد الفاسدة.

1/ اللغة مفهومها:

أ/ لغة:

من لغا يلغو لغوا، اللّغو واللّغا: السقط وما لا يعتد به من كلام وغيره ولا يحصل منه على فائدة ولا نفعا.

قال الأزهري: «واللغة من الأسماء الناقصة وأصلها لغوه من لغا إذا تكلم»[2].

ب/اصطلاحا:

اللّغة يعرفها ابن جني بقوله "حدها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" أي أن اللّغة ما هي إلا ألفاظ يتواصل بها الأفراد مع بني جنسهم كما أنها تعبّر عن أغراضهم ومطالبهم وأحاسيسهم ومشاعرهم فاللغة من أهم الظواهر الاجتماعية التي أنتجها التطور البشري وهي مركب معقد وترتبط ارتباطا عضويا بجميع المعارف الإنسانية كما أنها تلعب دورا مهما في تحقيق المنزلة العليا للإنسان بين الكائنات الأخرى وقد عرفها "شيخ الإسلام ابن تيمية" فقال:

---

[1] ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تح: ناصر عبد الكريم العقل، ج1، مكتبة الرائد، الرياض، د ت، ص163.

[2] ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، 1119، كرنيش النيل، القاهرة، ج م ع، ص1049.

«هي أصوات مؤلفة يعبر بها الإنسان عما في نفسه ووظيفتها الأساسية هي التواصل في إطار المجتمع الذي تنتمي إليه، وهذه الوظيفة تؤديها اللغات جميعا على الرغم من اختلاف بنيتها وتباينها فيما بينها»[1].

اللغة مؤلفة من الأصوات ومن المعاني التي تعبر عنها في اللغة وكانت هذه الأصوات والمعاني موضع دراسة علماء اللغة ولم يكتفوا بدراسة ما هو محسوس ومُدرَك من هذه اللغة وإنما تجاوزوا ذلك إلى البحث في قضايا غيبية، فكثر فيها الجدل وتعددت فيها الآراء ولم يصلوا في بحثهم إلى نتائج علمية، ومن هذه البحوث: «نشأة اللغة»[2].

وقد اقتضت حكمت الله تعالى أن يخلق الإنسان ليكون خليفة في الأرض، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[3] آية 30 سورة البقرة. كما اقتضت حكمته أن يعمر الأرض من نسل هذا الخليفة الأول، قال تعالى: ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ ﴾[4] سورة السجدة الآية 7 و8. ثم صار النسل شعوبا وقبائل.

2/ نشأة اللغة:

اختلف العلماء قديما في نشأة اللغة الإنسانية: أهي توقيف من الله أم اصطلاح وتواضع من البشر؟ أم تقليد للطبيعة؟ وقد ذهب لكل رأي فريق من الباحثين وتلمّس كل منهم الأدلة من أجل تأييد ما ذهب إليه.

أما المحدثون فخلافهم أشد وآرائهم شتى وحججهم أقرب إلى الخيال منها إلى البحث العلمي يقول ماريو باي: «ففيما يختص بنشأة اللغة وطبيعتها لدينا مصادر تعتمد على

---

[1] ابن تيمية: الدراسات اللغوية وأثرها في استنباط الأحكام الشرعية، دار البشائر الإسلامية، ط1، بيروت– لبنان، ص48.

[2] المرجع نفسه، ص49.

[3] سورة البقرة، الآية 30.

[4] سورة السجدة، الآية 7، 8.

الأساطير والحديث المنقول والمناقشات الفلسفية، ولكن تنقصنا الحقائق العلمية في هذا الصدد»[1].

واستقر الأمر في العصر الحديث على أن البحث في نشأة اللغة من الفضول الذي لا فائدة فيه وقررت الجمعية اللغوية في باريس عدم مناقشة هذا الموضوع نهائيا أو قبول أي بحث فيه لعرضه في جلستها.

- **رأي ابن تيمية في نشأة اللغة:**

يمكن لنا أن نتبيّنه من خلال النقاط التالية:

- ذكر اختلاف العلماء في هذه المسألة من الفقهاء وأهل الحديث والأصول وقال قوم: إنها توقيفية وهو قول "أبي بكر عبد العزيز" والشيخ "أبي محمد مقداسي" وطوائف من أصحاب الإمام أحمد وهو قول الأشعري وابن فورك" وغيرهما. وقال قوم: بعضها توقيفي وبعضها اصطلاحي هذا قول طوائف منهم "ابن عقيل" وغيره.

إذًا فالخلاف في مبدأ اللغات عند ابن تيمية محصور بين القول بالتوقيف والاصطلاح فقط.

- القول بالاصطلاح كما يصوره ابن تيمية يعني: «أن قوما اجتمعوا واصطلحوا على أن يسموا هذا بكذا وهذا بكذا، ويجعل هذا عامّا في جميع اللّغات وهذا القول لا نعرف أحدا من المسلمين قاله قبل أبي هاشم الجبائي»[2].

ويعني قول ابن تيمية بالاصطلاح أن ذلك يعني الفصل بين الوضع والاستعمال فالعقلاء يتفقون على ألفاظ ثم بعد ذلك يتفقون على استعمالها في المعاني.

والقول بوضع متقدم على الإستعمال مردود على ما يأتي:

---

[1] ابن تيمية: الدراسات اللغوية وأثرها في استنباط الأحكام الشرعية، ص51.

[2] المرجع نفسه، ص51.

- إنّ هذا القول مجرد دعوة تفتقر إلى دليل، فلا يمكن لأحد أن ينقل عن العرب، بل ولا عن أمة، أنه اجتمع جماعة فوضعوا جميع هذه الأسماء الموجودة في اللغة ثم استعملوها بعد الوضع... فإذا ادّعى مدّع أنه يعلم وصفا يتقدم ذلك، فهو مبطل فإن هذا لم ينقله أحد من الناس، وحينئذ فمن ادّعي وضعا متقدّما على استعمال جميع الأجناس فقد قال مالا علم له به.
- إن هذا القول خلاف المشهور وإنما المعروف المنقول بالتواتر استعمال هذه الألفاظ فيما عنوه بها من المعاني.[1]
- قد يقول قائل: إن الدليل على ذلك عقلي، فإنه إن لم يكن اصطلاح متقدم لم يكن الإستعمال كذلك بل نحن نجد أن الله يلهم الحيوان من الأصوات ما به يعرف بعضها مُرادَ بعضٍ.
- إن الذين قالوا بالتوقيف تنازعوا، هل التوقيف بالخطاب أو بتعريف ضروري أو كليهما؟

أما التوقيف بالخطاب فدليله قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾[2] البقرة الآية 31.

وقد اختلف العلماء من المفسرين وغيرهم في الأسماء التي علمها الله لآدم على قولين معروفين أحدهما أنه إنما علمه أسماء من يعقل واحتجوا بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ البقرة الآية 31. قالوا: وهذا الضمير لا يكون إلا لمن يعقل.

الثاني: أن الله علّمه أسماء كل شيء وهذا هو قول الأكثرين كابن عباس وأصحابه.

3/ مكونات اللغة:

تنوعت عبارات العلماء قديما وحديثا في بيان حقيقة اللغة وحدها فعرفها ابن جني بأنها "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" وعرفها ابن الحاجب "كل لفظ وُضع لمعنى".

---

[1] ابن تيمية: المراسلات اللغوية والنحوية وأثرها في استنباط الأحكام الشرعية، ص57.

[2] سورة البقرة، الآية 31.

ويراها بعض المحدثين أنها نظام من الرموز الصوتية أو مجموعة من الصور اللفظية تختزن في أذهان أفراد الجماعة اللغوية وتستخدم للتفاهم بين أبناء مجتمع معين.[1]

فاللغة تتكون من اللفظ المنطوق والمعنى الذي يحمله ذلك اللفظ ولكل عنصر من هذين المكونين خصائص ومميزات وسأبيّن في الصفحات المقبلة ما جال في ذهن ابن تيمية عن كل هذين العنصرين من خلال كتاباته المتناثرة.

4/ وظيفة اللغة:

لا شك أن الوظيفة الأساسية للّغة هي التعبير عن الإحساس وتبليغ الأفكار من المتكلم الى المخاطب فهي الوسيلة الأرقى للتفاهم بين البشر وتوجد طرق أخرى لتوصيل الأفكار والتفاهم بين الناس كبعض الحركات والإشارات والإيماءات إلا أن اللغة تبقى الوسيلة الوحيدة القادرة على التفاهم بسهولة ويسر ومرونة فائقة.[2]

والإنسان في عصوره كلها قد اتخذ من الألفاظ وسيلة للتفاهم واتصال الناس بعضهم ببعض في حياة اجتماعية مرت بأطوار مختلفة، والألفاظ منذ أقدم عصورها قد اصطنعت للتعامل بها فكانت بمثابة العملة منها الفضي ومنها الذهبي ومنها الصحيح ومنها الزائف والمتعاملون بها منها الفقير ومنهم الغني.

ولكن الإنسان في تعامله بالألفاظ لم يكن مخلصا دائما ولم يلتزم حدودها دائما فإن شاء التضليل والخداع والنفاق لجأ إلى تلك الألفاظ فاستمد منها أدواته وإن جنح الى الشر أو المكر أو الفتنة وجد في تلك الألفاظ ما يستعين به فلم ينطبق ما يدور في خلده على ما ينطق به، وإن كان القول المتقدم مبالغة فإنه لا يقدّم الصحة فالألفاظ سبب رئيس في اختلاف المفكرين.[3]

---

[1] ابن تيمية: المراسلات اللغوية والنحوية وأثرها في استنباط الأحكام الشرعية، ص57.

[2] المرجع نفسه، ص78.

[3] المرجع نفسه، ص79.

وابن تيمية بوصفه عالما مجتهدا مستنبطا للأحكام من أدلتها قد أدرك اثر اللغة في اختلاف الأحكام الدينية، والإختلاف في الدين ليس كاختلاف الناس في أمور دنياهم، فإذا كانت الدساتير الوضعية في كل اللّغات فقد اعتنى الناس بألفاظها من أجل أن يفهموا معانيها فالاعتناء بدستور السماء أولى وأولى لأنّ الإختلاف فيه قد يؤدي الى خسران الدنيا والآخرة وقد حاول ابن تيمية أن يضبط معاني الالفاظ من أجل الوصول إلى الحق فيما اختلف فيه العلماء ومن هاته الضوابط ما يلي:

- **معرفة مدلولات الأسماء واجبة :**

فالذي يريد أن يفهم اللغة يجب عليه معرفة مدلولات ألفاظها.

- **معرفة الزمن ضرورية لمعرفة المعنى:**

فوظيفة اللغة وظيفة تفاهم بين أبناء المجتمع وهذه الوظيفة موجودة في كل عصر، وعليه[1] فإن كل جيل يفهم من اللفظ نفسه معنى لا يتطابق تمام المطابقة مع الأجيال السابقة لا سيما مع تقدم الزمن.

- **الإصطلاح الفاسد وأثره في سوء الفهم:**

فالإصطلاح معناه اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى وهو سنّة لأصل كل فن والتخاطب به جائز لا حرج فيه فيقول ابن تيمية في هذا الصدد: «وأما مخاطبة أهل الاصطلاح باصطلاحهم ولغتهم فليس بمكروه إذا احتيج إلى ذلك وكانت المعاني صحيحة كمخاطبة العجم من الروم والفرس والترك بلغتهم وعرفهم فإن هذا جائز حسن للحاجة».

- **الابتعاد عن الألفاظ المجملة:**

فالألفاظ هي الوسيلة الأرقى لنقل المعاني والتفاهم بين أبناء المجتمع والمقصود بالإجمال عدم اتضاح معنى اللفظ بدقة وقد يكون سبب الإجمال إمّا من اللفظ وإمّا من المتكلم.

[1] ابن تيمية: المراسلات اللغوية والنحوية وأثرها في استنباط الأحكام الشرعية، ص80.

المبحث الثاني: الإعتقاد من منظور ابن تيمية:

تمهيد:

إن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم الذي أنزله الله على رسوله (ص) وهي لغة دين الإسلام الذي لن يقبل الله من أحد سواه، وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله «يرى أن إثبات الصفات الإلهية يقتضي عبادة الله بالخوف والرجاء، مؤكدا حاجة الإنسان المّاسة إلى هداية ربه... ويرى كذلك أن أهل العلم الإلهي يبدأ من الإيمان بالله أولا لأنه سبحانه الأول ولأنه دليل، فالعبد مفطور مخلوقا على الإقرار بأن الله تعالى سبحانه هو خالقه. ويتبين لنا من هذا أنه أوضح إلى الله بواسطة الإقرار الفطري أولا فيقول " أن العلم قبل العمل والإدراك قبل الحركة والتصديق قبل الإسلام، والمعرفة قبل الحركة»[1].

والإنسان خُلق من أجل العِبادة، وهذه الأخيرة لن تستقيم إلا بتعلم طرف من العربية لأن الله اختارها لتكون لغة كتابه الذي أنزله وهو عمدة أهل الإسلام في عبادتهم.

وينقسم مذهب ابن تيمية إلى ثلاث أقسام هي:

العلم الإلهي ثم نظريته ثم الإنسان .

1/ العلم الإلهي أو العلم بالله تعالى:

«يعرف إبن تيمية العلم بأنه "ما قام عليه الدليل" ثم ينقسم العلم النافع بما يتصل بأمور إلهية وأمور دنيوية، فالأمور الإلهية يعد فيها الرسول (ص) أعلم الخلق بها، أما العلوم الدنيوية كالطب والحساب والزارعة وغيرها فهي تأتي من غير الرسل. ومن حيث طرق الإستدلال فإن أدلة العلوم عنده تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

عقلية وحدها، وسمعية وحدها، وعقلية سمعية معًا.

[1] د. مصطفة حلمي: معرفة الله وطريق الوصول إليه عند ابن تيمية، ص38-39.

أولا: ما لا يُعلم إلّا بالأدلّة العقلية، وأحسنها ما جاء بها القرآن وبيّنها الرسول (ص) حيث أرشد إلى أفضل وأكمل الطرق العقلية، ومن ذلك النبوة.

ثانيا: ما يخبر به الأنبياء وهو دليل سمعي.

أما ما يعرف بالأدلّة العقلية والسمعية معا فهو العلم الإلهي الذي يتضمن "إثبات الصانع ووحدانيته وعلمه وقدرته ومشيئته وحكمته ورحمته ونحو ذلك".3

ويرى ابن تيمية أن العلم الإلهي من اختصاص الأنبياء والرسل لأنهم بُعثوا بغرض التعريف به "فهم أعلم الناس به وأحقهم بقيامه وأولاهم بالحق فيه، وذلك خلافاً لما يظنه كثير من الفلاسفة والمتكلمين الذين يدّعون أنهم اختصوا بالنظر في العلم الإلهي، فضلا عن قصور مناهجهم في الإستدلال في هذا الميدان»[1] .

وابن تيمية يستخدم قياس الأولى القرآنية في إثبات الصفات لله عز وجل وهو نوع من المعرفة التفصيلية التي تأتي بعد معرفة الله أولا بالفطرة أي أن المعرفة بالله عنده فطرية قلبية حيث يقول "وهكذا حالُ الطالبين لمعرفة الله والمريدين له والسائرين إليه قد عرفوا وجوده أولا وهم يطلبون معرفة صفاته أو مشاهدة قلوبهم في الدنيا فيسلكوا الطريق المتصلة إلى ذلك بالإيمان والقرآن" وهذه الفقرة تعبر غن طريق ابن تيمية في إثبات وجود الله والطريق الموصل إليه.

وفي الأخير نستنتج «أن المعرفة بالله عند ابن تيمية معرفة قلبية وفطرية ويظهر ذلك من خلال نزعته الوجدانية أو ما يسميه منهج التصفية، فإن العبد عندما يعرف ربه يذكره ويجد هذا مبررا للصوفية وعندما يلازمون الذكر بالله فإنه يتفق مع الفطرة»[2].

[1] مصطفة حلمي: معرفة الله وطريق الوصول إليه عند ابن تيمية، ص40.

[2] المرجع نفسه، ص43.

الفصل الثالث: لقيمة العلمية لآراء ابن تيمية اللغوية

- ✓المبحث الأول: آراء العلماء في ابن تيمية
- ✓المبحث الثاني: تصانيفه

المبحث الأول: آراء العلماء في ابن تيمية:

المبحث الأول : آراء العلماء في ابن تيمية :

قال الشيخ الإمام الحافظ سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن موسى البزار في كتابه الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية: «أما غزارة علومه فمعرفته بعلوم القرآن المجيد واستنباطه لدقائقه ونقله لأقوال العلماء في تفسيره، واستشهاده، بدلائله وما أودعه الله تعالى فيه من عجائبه وفنون حكمه وغرائب نوادره وباهر فصاحته وظاهر ملاحته فانه فيه من الغاية التي ينتهى اليها والنهاية التي يعوّل عليها»[1].

وأما معرفته وبصره بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقواله وأفعاله وقضاياه ووقائعه وغزواته وسراياه وبعوثه وما خصّه الله تعالى من كراماته ومعجزاته.

«ومعرفته بصحيح المنقول عنه وسقيمه والمنقول عن الصحابة رضوان الله عليهم في أقوالهم وأفعالهم وقضاياهم وفتاويهم»[2]، وأحوالهم وأحوال مجاهداتهم في دين الله وما خصّو به من بين الأئمة فإنه كان رضي الله عنه من أضبط الناس لذلك وأعرفهم فيه وأسرعهم استحضارا لما يريد منه فإنه «قل أن ذكر حديثا في مصنف أو فتوى أو استشهد به أو استدل به إلا وعزاه في طي دواوين الإسلام هو»[3]، ومن أي قسم من الصحيح أو الحسن أو غيرهما وذكر اسم رواية في الصحابة وقل ان يسأل عن أثر إلّا وبيّن في الحال حاله وحال أمره وذاكره.

هذا ويذهب الحافظ أبو الحجاج المزّي عن ابن تيمية: «ما رأيت مثله، ولا أرى هو مثل نفسه، وما رأيت أحدا أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ولا أتبع لهما منه»[4]

---

[1] الإمام مرعى بن يوسف الكرمي الحنيلي: الكواكب الذرية في مناقب المجتهد ابن تيمية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت– لبنان، ص70، 72.

[2] المرجع نفسه، ص71.

[3] هادي أحمد فرحان الشجيري: الدّراسات اللغوية والنحوية في مؤلفات الشيخ ابن تيمية، ص23.

[4] المرجع نفسه، ص23.

هذا ويذهب القاضي أبو الفتح ابن دقيق العيد بقوله: «لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلا كل العلوم بين عينيه يأخذ ما يريد ويدع ما يريد»[1].

أما الشيخ ابراهيم الرقي فصرح قائلا: «الشيخ تقي الدين يؤخد عنه ويقلد في العلوم فان طال عمره ملا الارض علما وهو على الحق ولا بد ما يعاديه الناس فانه وارث علم النبوة»[2].

انه اعترافا باجتهاد ابن تيمية من قبل الشيخ ابراهيم الرقي وبانشغاله بالحفاظ أنه لا يعرف غير ذلك الفن وحكم أن أحدا لا يعرفه مثله.

وكان رحمه الله منشغلا ببث العلم ونشوة بالإجتهاد في سبيل الخير حتى انتهت إليه الإمامة في العلم والعمل والزهد والورع والشجاعة والكرم والتواضع والحِلم والإنابة والجلالة والمهابة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسائر أنواع الجهاد مع الصدق والأمانة والعفة والصيانة، وحسن القصد والإخلاص والإبتهال إلى الله وكثرة الخوف منه وكثرة المراقبة له وشدة التمسك بالأثر والدعاء إلى الله وحسن الإخلاق ونفع الخلق والإحسان إليهم والصبر على من أذاه والصفح عنه والدعاء له وسائر أنواع الخير هذه جملة المواصفات التي وصفها به العلماء عرفانا منهم وتقديرا بما قدّمه في عصره من علوم امتدت حتى بعد وفاته فقد ترك مجموعة من المؤلفات كانت ولا تزال نبراس المهتدى إلى علوم الشريعة والفقه.

ويبدو أن صاحبنا قد بلغ في نفوس محبيه مبلغا عظيما حتى أخدوا يمدحونه بالشعر وها هو أبو حيان شيخ النحاة يقول فيه :

لما أتينا تقيَّ الدِّين لاحً لنا داعٍ إلى الله فَردٌ ماله وِزَرُ
على مُحيّاه من سِيما الأُولى صَحِبوا خَيرَ البريَّةِ نورٌ دونَه القمرُ
خَبرٌ تَسربَلَ منه دَهرُه حِبَراً تَقاذَفُ مِن أمواجه الدُّرَرُ
وَأَظهَرَ الحَقَّ إِذ آثاره اندَرَسَت وَأَخمَدَ الشرَ إِذ طارَت لَهُ شَرَر

[1] الإمام مرعى بن يوسف الكرمي الحنيلي: الكواكب الذرية في مناقب المجتهد ابن تيمية، ص56.
[2] المرجع نفسه، ص56.

كُنا نُحَدِّثُ عَن حَبر يَجيء فَها أَنتَ الإمامُ الَّذي قَد كانَ يُنتَظَرُ [1]

هو نجم الدين إسحاق بن أبي بكر التركي يمدحه بقصيدته طويله ندكر منها العشر الأبيات الأولى:

راني من ذكرى سعاد وزينب ومن ندب أطلال اللوى والمحصب
ومن مدح آرام سنحن برامة ومن غزل في وصف سرب وربرب
ولا تنشداني غير شعر إلى العلى يظل ارتياحاً يزدهيني ويطبي
وإن أنتما طارحتماني فليكن حديثكما في ذكر مجد ومنصب
بحب المعالي لا بحب أم جندب أقضي لبانات الفؤاد المعذب
خلقت امرءاً جلداً على حملي الهوى فلست أبالي بالقلى والتجنب
سواء أرى بالصول تقريض جؤذر أو إعراض ظبي ألعس الثغر أشنب
ولم أصب في عصر الشبيبة والصبا فهل أصبون كهلاً بلمة أشيب
يعنفني في بغيتي رتب العلى جهول أراه راكباً غير مركبي
له همة دون الحضيض محلها ولي همة تسمو على كل كوكب [2]

وبالجملة فكلام الأئمة بأثناء عليه يطول وفيما ذكرناه كفاية تدل على علو رتبه ورفيع شأنه ومرتبته رصي الله عنه تعالى أثنى عليه كل هؤلاء العلماء سواء بالنثر أو الشعر فالنثر مدحه كل الحافظ الدهبي والحافظ البزار وابن الحريري وابن دقيق العيد وابراهيم الرقي وآخرونوفي الشعر مدحه شيخ النحاة أبو حيان من جهة ونجم الدين اسحاق بن أبي بكر التركي بقصيدة من جهة أخرى.

المبحث الثاني: تصانيفه

لشيخ الإسلام مصنفات عديدة ومتنوعة تتمثل:

[1] الإمام مرعى بن يوسف الكرمي الحنيلي: الكواكب الذرية في مناقب المجتهد ابن تيمية، ص57.
[2] المرجع نفسه، ص73.

«كتاب بيان الدليل على بطلان التحليل»، وكتاب «الصارم المسلول على شاتم الرسول» وكتاب «اقتضاء السراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم» وكتاب «تحرير الكلام في حادثة الإقسام» وسماها بعضهم «كتاب تحرير مسألة حفير» وكتاب «رفع الملام عن الأئمة الأعلام»، وكتاب السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية وكتاب تفضيل صالح الناس على سائر الأجناس...الخ

«وهذه المصنفات بعضها مجلد كبير وبعضا مجلد صغير وله كتاب في الرد على المنطق مجلد كبير وله مصنفان آخران في الرد على المنطق نحو نحو مجلد وله كتاب في محنته بمصر مجلدان رد فيه على القائلين بالكلام النفسي من نحو ثمانين وجها وله في مسألة القرآن مؤلفات كثيرة وقواعد وأجوبة وغير ذلك إذا اجتمعت بلغت مجلدات كثيرة منها ما بيض ومنها ما لم يبيض فمن مؤلفاته في ذلك الكيلانية والبغدادية والقادرية والأزهرية والبعلبكية والمصرية وله في الرد على الفلاسفة مجلدات وقواعد أملاها مفردة غير ما تضمنته كتبه منها إبطال قولهم بإثبات الجواهر العقلية ومنها إبطال قولهم بقدم العالم وإبطال ما احتجوا به ومنها إبطال قولهم في أن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد وله كتاب في الوسيلة مجلد.

وللشيخ مؤلفات في صفة حج النبي صلى الله عليه وسلم وجمع من النصوص في ذلك والكلام على متعة الحج والعمرة المكيّة وطواف الحائض، وما يتعلق بذلك اكثر من مجلدين.

وله مصنفات في زيارة القبور وهل تباح للنساء والفرق بين الزيارة الشرعية والزيارة البدعية وفي المشاهد متى حدثت وفي النذر لها وفي المشهد المنسوب للحسين رضي الله عنه»[1]

[1] أبو عبد الله محمد بن عبد الهادي الدمشقي الصالحي: العقود الذرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، ط1، ص32-40.

خاتمة

خاتمة:

- ابن تيمية إمام الأئمة، ومفتي الأمة وبحر العلوم، سيد الحفاظ، وفارس المعاني والألفاظ، فريد العصر وقريع الدهر، شيخ الإسلام.
- نهى ابن تيمية عن التشبه بالكفر، وأمر بمجانبة هديهم على العموم وفي أعيادهم على الخصوص، وبيان حكمة ذلك.
- يعتبر كتاب اقتضاء الصراط المستقيم دراسة تفصيلية فريدة لهذا الموضوع المهم والخطير في حياة المسلمين الذي يعتبر أصلا من أصول العقيدة الإسلامية وهو موضوع التشبه بالكفّار، والنهي عنه وذلك بإعطاء الأدلة العقلية والنقلية، وما ورد فيها من مآثر ومواقف عن سلف الأمة.
- تناول الكثير من العلماء بالثناء على ابن تيمية على غرار الذهبي والزمكاني، والشيخ أبو عبد الله بن رشيق... إلخ، وهذا دليل على ثراء علمه وعظم منزلته.

ولقد تناولنا هذا البحث في ثلاثة فصول، حيث خصصت الفصل الأول للتحدث عن كتاب ابن تيمية والمتمثل في "اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم"، أما الفصل الثاني فتحدثت فيه عن اللغة والإعتقاد من منظور ابن تيمية وختمت بالفصل الثالث الذي تناولت فيه ثناء الأئمة على شيخ الإسلام وتصانيف هذا الأخير التي لا تعد ولا تحصى.

- مبدأ اللغة عند ابن تيمية محصور بين التوقيف والاصطلاح.
- لقد أدرك ابن تيمية أثر اللغة في اختلاف الأحكام الدينية حيث أن هذه الأخيرة ليست كاختلاف الناس في أمور دنياهم.

قائمة المصادر

والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

قائمة المصادر والمراجع:

1-ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تح: ناصر عبد الكريم العقل، ج1، مكتبة الرائد، الرياض، د ت.

2-ابن تيمية: الدراسات اللغوية وأثرها في استنباط الأحكام الشرعية، دار البشائر الإسلامية، ط1، بيروت- لبنان.

3-ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، 1119، كرنيش النيل، القاهرة، ج م ع.

4-أبو الفتح عثمان ابن جني: الخصائص، دط، دار الكتاب المصرية، مصر، ج2، دت.

5-أبو عبد الله محمد بن عبد الهادي الدمشقي الصالحي: العقود الذرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، ط1.

6-الإمام مرعى بن يوسف الكرمي الحنيلي: الكواكب الذرية في مناقب المجتهد ابن تيمية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان.

7-خليل بنيان الحون: النحويون والقرآن، ط1، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، 2002م.

8-عبد العظيم إبراهيم محمد المطعّن، المجاز عند ابن تيمية، ط1، مكتبة وهيبة، القاهرة، ت1995.

9-مصطفي حلمي: معرفة الله عز وجل وطريق الوصول اليه عند ابن تيمية، ط1، دار الدعوة الإسكندرية، ت1990م.

10- هادي أحمد فرحان الشجيري: الدراسات اللغوية والنحويه في مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية ، ط1، دار البشائر الاسلامية، بيروت، 2001.

الفهرس

الفهرس

مقدمة: .....أ – ج

مدخل:

حياة شيخ الإسلام ابن تيمية وعصره: 3

ولادته: 4

سبب تسميته بابن تيمية: 4

تصانيفه: 4

وفاته: 5

الفصل الأول: حول كتاب اقتضاء الصراط المستقيم لإبن تيمية

المبحث الأول: المسائل التي عالجها الكاتب 7

المبحث الثاني: سبب تأليف الكتاب: 8

المبحث الثالث: التعليق على الكتاب وتحليل موضوعاته: 9

الموضوع الأول: تنبيه المؤلف على أصلين مهمين: 11

الموضوع الثاني: بعض أنواع البدع والشركيات التي ابتليت بالأمة:..... 11

الموضوع الثالث: أثر التشبه على الأمة: 13

الموضوع الرابع: قواعد أساسية في التشبه: 13

الموضوع الخامس: متى يباح التشبه بغير المسلمين: 14

الفصل الثاني: اللغة والإعتقاد من منظور ابن تيمية

المبحث الأول: اللغة عند ابن تيمية: 17

تمهيد: 17

1/ اللغة مفهومها: 18

أ/ لغة: 18

ب/اصطلاحا: 18

2/ نشأة اللغة: 19

3/ مكونات اللغة: 21

4/ وظيفة اللغة: 22

المبحث الثاني: الإعتقاد من منظور ابن تيمية: 24

تمهيد: 24

1/ العلم الإلهي أو العلم بالله تعالى: 24

الفصل الثالث: القيم العلمية لآراء ابن تيمية

المبحث الأول: آراء العلماء في ابن تيمية: 27

المبحث الثاني: تصانيفه 29

خاتمة: 32

قائمة المصادر والمراجع: 34

الفهرس:..... 89